خطاب امرأة عمران في القرآن

دراسة بلاغية تحليلية

د. عويض بن حمود العطوي*

الأستاذ المشارك وعميد الدراسات العليا بجامعة تبوك

* من مواليد مدينة تبوك بالمملكة العربية السعودية عام ١٣٨٧هـ.

- نال درجة الماجستير في البلاغة والنقد من كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض عام ١٤١٦هـ بأطروحته: " **الضمير المنفصل في النظم القرآني**"، ثم نال منها درجة الدكتوراه عام ١٤٢١هـ بأطروحته: " **بلاغة الحال في النظم القرآني** " (مطبوعة).
- من كتبه وبحوثه المنشورة : "**البصائر (في خطب المنابر)**" ، " **القيم الصوتية في الخطاب النسائي في القرآن (دراسة دلالية)** "، "**من دلالات الزمن في القرآن (الشهر)** " ، "**البلاغة النبوية في أحاديث السفر**".
- البريد الإلكتروني : **Dr.ahha1@Gmail.com**

الملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة نص محدد هو خطاب امرأة عمران في القرآن، من الوجهة البلاغية، وذلك لإبراز السمات الدلالية في النص، وربط ذلك بموضوع الخطاب الذي لم يذكر في القرآن إلا مرة واحدة.

وقد اتبع الباحث المنهج التحليلي للنص، للوصول إلى نتائج، من أهمها: اختلاف مستويات الخطاب، واختلاف النظم تبعًا لذلك، فظهرت على الخطاب الأول سمات السكون والهدوء والخضوع لأنه نذر وتضرع، وظهر على الثاني مد الصوت وإطالته، مع ما يشعر بالتحسر، وهو الهاء الممتدة بالألف في الكلمات: (وضعتها ، سميتها ، أعيذها، وذريتها)، وظهر من النص المدروس عدم وجود سمات خاصة لخطاب المرأة يميزه عن الرجل، وصوّر الخطاب قوة تحمل المرأة ، وشدة عزيمتها إذا تلبست بالإيمان، واعتمدت على الجبار، وخصوصاً إذا تعلق الأمر بأمومتها ، وفراقها لولدها.

مدخل

الحمد لله الذي أنعم علينا بالقرآن، وتفضل علينا بالأمن والأمان، والصلاة والسلام على معلم النـاس الخير، محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن الخطاب القرآني -كما هو كل شيء في القرآن- مميز عن غيره، لأنه من جهة محفوظ من التبديل والتغيير، ولأنه من جهة أخرى لا يمكن أن تحل فيه كلمة مكان أخرى، ولا أسلوب موضع أسلوب، فكل شيء في محله، وهذا يجعل الدارس مطمئناً إلى النص الذي يتعامل معه.

وقد رأيت في الخطاب النسائي(١) عموماً نموذجاً خاصاً لفئة مهمة في المجتمع، فأردت دراسة ذلك النمط من الخطاب، وحتى لا تطول الدراسة فقد قصرتها على خطاب امرأة عمران(٢) لأنه أول الخطابات ورودًا في القرآن.

ويسعى هذا البحث لتحقيق الأهداف الآتية:

١. الكشف عن الوجوه البلاغية في النص المدروس، وهذا يسهم في إثراء الأبحاث البلاغية التطبيقية المتعلقة بالقرآن.

٢. إبراز أثر المنهج البلاغي في الكشف عن المعاني، والإقناع بها.

---

(١) المقصود بالخطاب النسائي هنا ما أجراه الله على لسان المرأة من أقوال.

(٢) ولي اهتمام ببقية الخطابات النسائية وهي تحت البحث والدراسة، وستظهر قريبًا بإذن الله.

٣. النظر في وجود سمات خاصة بخطاب المرأة، من عدم ذلك.

٤. تحريك الوجهة نحو دراسة الخطابات المتخصصة في القرآن.

حدود البحث:

يقتصر البحث على دراسة النص القرآني الممثل لخطاب امرأة عمران، وهو الوارد في قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [آل عمران : ٣٥-٣٦].

منهج البحث :

سأدرس هذا النص من خلال المنهج البلاغي (التحليلي)، وقد كان أمامي طريقان في ذلك :

الأول: أن أجعل التقسيم البلاغي هو الأصل، وآخذ من الآيات ما يتناسب مع كل قسم.

الثاني: أن أدرس الخطاب كما هو من خلال سياقه، ومفرداته، وتراكيبه، وقد اخترت الثاني، لأن الأول سيقطع أوصال الخطاب، والثاني سيقوم بما يقوم به الأول مع إبراز القضايا البلاغية والدلالات في مواضعها، ومن خلال سياقها.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

د/ عويض بن حمود العطوي

عميد الدراسات العليا بجامعة تبوك/ أستاذ مشارك

المقطع الأول

خطابها قبل الوضع

وهو المتمثل في قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾.

وحتى ندرك سياق هذا الخطاب فيحسن أن نعرف ما سبقه وهو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ (٣٣) ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣٣، ٣٤].

ولعله يظهر في النص السابق لخطاب امرأة عمران أمران: الاصطفاء والاختيار، وتوالد الذرية، وهذا يعني أننا أمام نموذج فريد، نموذج مصطفى، يراد له أن يقدم درسًا واقعيًا في أثر الإيمان على المرأة في أشد علاقاتها، وأعظم ارتباطاتها، وهو ما يكون مع جنينها، ثم مع مولودها.

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ ﴾ من خلال النظر في النص المدروس، نجد أنه سبق بظرف زمني مرتبط بمفردة القول: ﴿ إِذْ قَالَتِ ﴾، وهنا إشارة للعناية بزمن الخطاب، فهو زمن ماض انقضى وقته، وفي إبراز مفردة القول (قالت) بيان لقصد إظهار قولها، ولم يرد لها خطاب غيره في القرآن، وكل هذا يجعلنا نعتني بهذا الخطاب.

وقد عرَّفها سبحانه بالإضافة ، فقال جلت قدرته : ﴿ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ ﴾، وهي أمُّ مريم بنت عمران عليها السلام، وقيل اسمها حنّة بنت فاقوذ بن قبيل[(١)]، وإنما عرفت

(١) انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، للطبري، تحقيق د. عبد الله التركي ، ط١ (مصر- الجيزة: دار =

بالإضافة إلى زوجها؛ لأن زوجها أكثر منها شهرة فنسبت إليه، يقول أحمد موسى سالم:«ذكر القرآن من النساء الصالحات أم مريم، وذلك بنسبتها إلى زوجها، في قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ ... ﴾ وكذلك ذكر القرآن من الصالحات منسوبة إلى زوجها امرأة فرعون، وأما غير الصالحات من النساء، فقد جاء ذكرهن كذلك منسوبات إلى أزواجهن في قصص القرآن»(١).

وما هو أوجه من ذلك عندي؛ أنّ ذكر علاقتها بزوجها في هذا المقام هو المهم، لأن الموضوع يتعلق بالحمل والولادة، وارتباط الزوج بمثل هذا أعظم من غيره.

ولم يسمها الله عز وجل باسمها العلم، وهذا أمر ذائع في القرآن مع النساء، فلم يذكر مع إحداهن اسمها الصريح إلا مع مريم عليها السلام، ولعله يؤخذ من هذا الميل إلى عدم ذكر اسم المرأة في كل محفل، وترديده في كل قول، وهذا بخلاف الرجل، فأسماء الأنبياء كثيرة في القرآن، وكذلك غيرهم مثل عمران، وزيد، وفرعون، وهامان، وقارون.

وأما ذكر مريم خصوصاً باسمها فقد أشار السهيلي – رحمه الله– إلى أن الأصل أن الأشراف والملوك لا يذكرون حرائرهم ولا يبتذلون أسماءهن، بل يكنّون عنهن، وأما الإماء فيصرحون بأسمائهن، فلما قالت النصارى في مريم وابنها ما قالوا من

= هجر، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)، ٥/ ٣٣٠.

(١) قصص القرآن في مواجهة الرواية والمسرح، أحمد موسى سالم، ط (١)، دار بيروت، دار الجيل، ص١٢٠، نقلاً عن جماليات المفردة القرآنية للدكتور أحمد ياسوف ص٢٦٠.

الغلو، صرح الله باسمها تأكيداً للأمومة والعبودية [١].

﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ﴾ أول لفظة وردت في خطابها هي: ﴿رَبِّ﴾ وهي منادى محذوف الأداة، والأصل (يا رب)، وإنما قدرت (يا) دون غيرها لأنها« تختص دون سواها، بأنها هي وحدها التي يجوز حذفها مع المنادى، عندما لا يكون هناك مانع من الحذف » [٢] وذلك لأنها «أكثر أحرف النداء استعمالاً، ولهذا لا يقدر عند الحذف سواها» [٣]. وهي للبعيد، والرب سبحانه قريب، فكيف ينادى بأداة البعيد؟ وجواب ذلك: أن في هذا إشارة إلى بُعد منزلته سبحانه، ورفعة مكانته جلت قدرته[٤].

أما عن سر حذف الأداة الذي كثر في القرآن مع لفظ الرب، حتى: إنها لم تذكر في القرآن مع المنادى إلا مرتين[٥]، فيظهر – والله أعلم- أن هذا الحذف «له دلالة

---

(١) انظر: التعريف والإعلام فيما أبهم من الأسماء والأعلام في القرآن الكريم، للسهيلي،تحقيق أ. مهنا ، ط (١) ، (لبنان بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م) ص ١٠٩ .

(٢) النداء في اللغة والقرآن ، الدكتور : أحمد محمد فارس ، ط (١) ، (بيروت ، دار الفكر اللبناني، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م) ص٨٠.

(٣) مغني اللبيب، ابن هشام ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط (بدون) ، (بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٠٧هـ) ١٩٨٧م، ٢/ ٣٧٣ .

(٤) انظر المعاني في ضوء أساليب القرآن ، الدكتور : عبد الفتاح لاشين ، ط(١) ، (مصر، دار المعارف ، ١٩٧٦م) ص١٦٣.

(٥) الأول في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾[الفرقان :٣٠] ، وقوله تعالى: ﴿وَقِيلِهِۦ يَـٰرَبِّ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [الزخرف: ٨٨] وهما موضعان كما نرى، لا موضع واحد كما أشار إليه الدكتور أحمد بدوي – رحمه الله – في كتابه من بلاغة القرآن ١٦٨، وقد علل – رحمه الله – الحذف بشعور الداعي بالقرب من ربه .

في نفس البليغ، وهي أن المنادى في أقرب منازل القرب من المنادي، حتى لم يحتج إلى ذكر أداة نداء له لشدة قربه، وهذا يليق بمقام دعاء الرب جل وعلا »[(١)].

وليس في هذا تناقض مع مدلول (يا) الذي سبق ذكره، لأنه يشير إلى علو المنزلة والمكانة، وذلك لا يقتضي البُعد، كما أن الحذف أكثر دلالة على القرب من ذكر الأداة وإبرازها، خصوصاً أن ذلك تكرر مع كلمة (رب) التي معناها: المربي والسيد والمالك، ومن هذا شأنه فموضعه القرب[(٢)].

ويرى الدكتور عبد العظيم المطعني إضافة إلى ما سبق أن «هذه الكلمة (رب) أكثر استعمالاً من غيرها في الدعاء، فروعي فيها من جهات التخفيف ما يجعلها أطوع في الألسنة، وأسهل في مجاري الحديث »[(٣)].

وهناك توجيه آخر، ينحو إلى وجهة أخرى، وهو أن «النداء يتشرب معنى الأمر، فإذا قلت: يا يزيد، فمعناه: أدعوك يا يزيد، فحذفت (يا) من نداء (الرب) ليزول معنى الأمر، ويتمحض التعظيم والإجلال »[(٤)].

---

(١) البلاغة العربية ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، ط (١) ، (دمشق ، دار القلم ، بيروت ، الدار الشامية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م) ١/ ٢٤٢.

(٢) نبه إلى ذلك الدكتور عبد العظيم المطعني في كتابه خصائص التعبير القرآني ٢/ ٧ ، ونسبه إلى الدكتور أحمد أحمد بدوي في كتابه : من بلاغة القرآن ، لكن بالرجوع إلى الكتاب المذكور لا نجد ربطاً بين معنى الرب وحذف الحرف، وكل ما ذكره فيما يخص موضوعنا هذا هو الإشعار بالقرب، انظر : من بلاغة القرآن ، الدكتور : أحمد أحمد بدوي، ط (٢) (الفجالة ، مكتبة نهضة مصر ، ١٣٧٠هـ) ص١٦٨،١٦٩ .

(٣) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ، للدكتور : عبد العظيم المطعني ، ط(١) ، (القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م) ، ٢/ ٨.

(٤) من أسرار التعبير في القرآن (حروف القرآن) ، للدكتور : عبد الفتاح لاشين، ط(١)، (جدة ، شركة=

«والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن إفاضة ما فيه صلاح المربوب مع الإضافة إلى ضميرها لتحريك سلسة الإجابة، ولذلك قيل: إذا أراد العبد أن يستجاب له دعاؤه فليدع الله بما يناسبه من أسمائه وصفاته » [(١)].

ويظهر لنا من هذا كله أن امرأة عمران، سلكت في خطابها ما هو ذائع في خطاب المؤمنين إذا دعوا ربهم، وذلك أن هذا النداء ومثله غيره، يأتي غالباً في مواطن إظهار الضعف للرحيم جلت قدرته، وهذا هو مقام القرب والتذلل والبعد عن كل دلائل التكبر أو الاستغناء، حتى ولو كان ذلك في إظهار(يا) التي قد تشعر بالأمرية أو البعد.

﴿إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ﴾ جاء الخطاب هنا مؤكداً بـ (إنّ) ، مع أنه لا إنكار ولا شك، ولكن سر ذلك - والله أعلم- هو حرصها على هذا الأمر وصدقها فيه، حتى كأنه في موقع المستغرب الذي يحتاج إلى توكيد وتثبيت، وذلك أن تنازل الوالدة عما في بطنها ليس أمراً هيناً، وخصوصاً في تلك المرحلة (الحمل)، وإلى بعض هذا أشار الحرالي عندما ذكر ما للأم من الشفقة والرحمة، وهذا ما حصل لأم مريم التي خرجت عن حملها وهو في بطنها حين ما هو أعلق بها[(٢)]، وهي أعلق به.

=مكتبات عكاظ ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) ، ص١٧٨،١٧٧.

(١) تفسير أبي السعود ٢/ ٢٧.

(٢) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، ط٣، (القاهرة، دار الكتاب، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م) ٤/ ٣٥٠.

والتوكيد بـ(إنّ) هنا دون غيرها، كأن يقال مثلاً: (لقد نذرت)، لما فيه من إضافة ذلك إليها بسبب (ياء المتكلم)، وذلك يُشعِر بعنايتها الخاصة به، كما أن هذا التوكيد فيه إبراز لوفور رغبتها في مضمون الجملة[1].

وإسناد النذر إلى ضميرها بعد ذلك يسير في طريق التأكيد الذي بدأته بـ(إن)، فالأسلوب على هذه الصورة فيه تكرار إسناد إلى الضمير في (إني) لأنه هو الفاعل المعنوي، وإلى تاء الفاعل المتصلة بالفعل، فكأنها قلت: أنا نذرت، وهذا أقوى من نذرت وحدها، لأن فيها إسناداً واحداً.

وأما مجيء الفعل بالماضي (نذرت) دون (سأنذر)، فلما يوحي به السياق كله، من صدقها وقوة إيمانها وحرصها على الخير، والنذر هنا في طاعة وهو خروج من أعظم المتعلقات وهو المولود، فالذي يصور هذا الصدق والإيمان هو الفعل الماضي (نذرت) ، فكأنه قد وقع وانقضى فلا تعلق للنفس به، ولا مجال للرجوع عنه، ولو قيل(سأنذر)، لأشعر بغير هذا ، ولربما تعرض الإنسان لصوارف الزمن والشيطان.

ثم إنها بهذا تسابق مجيء هذا الجنين، وكأنّ هذا يوحي بأنها تخاف أن تغلبها أمومتها بعدما تلده، فألزمت نفسها قبل أن تراه بما يجعله خالصاً للعبادة، وهذا ما لا يكون لكل أحد، فلله درها ما أعظم شأنها.

ثم إن اختيار الكلمة (نذرت) دون (جعلت) مثلاً، لما في النذر من الإلزام المجبر على الوفاء.

---

(١) انظر: تفسير أبي السعود ، (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) ، لأبي السعود العمادي ، ط (بدون) ، (بيروت ، دار إحياء التراث العربي) ، ٢/ ٢٧.

(لك)، المعنى مفهوم دون هذه اللفظة لو قيل: (إني نذرت ما في بطني محرراً)، لكن تحديد المقْصِد هنا مهم، إذ هو يُظهر الإخلاص والتجرد، ففي هذا الخطاب الإيماني من هذه المرأة المؤمنة، فهي تقول: (لك) لا لغيرك، واللام تشعرنا في أصل معناها بالملكية والاختصاص(1)، فالمعنى إنه يا رب لك وحدك، لا تريد بذلك دنيا ولا جاهاً ولا مدحاً.

ومما يشعر بالاختصاص زيادة على مدلول اللام، تقديم الجار والمجرور إذ موقعه التأخير: نذرت ما في بطني لك، أو محرراً لك، كما أن هذا التقديم أشعر بالاهتمام بتعيين المقْصِد بهذا التحرير والنذر، يقول الشوكاني: « تقديم الجار والمجرور، لكمال العناية» (2).

---

(1) يقول سيبويه عن لام الإضافة : « معناها الملك واستحقاق الشيء ، ألا ترى أنك تقول: الغلام لك ، والعبد لك ، فيكون في معنى هو عبدك ، ... فيكون مستحِقاً لهذا كما يكون مستحِقاً لما يملك» الكتاب ، سيبويه، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط(3) ، (بيروت، عالم الكتب، 1403هـ - 1983م) 4/ 217.

وبين الدكتور محمد الخضري بأن سيبويه لم يذكر للام غير هذا المعنى ، انظر من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم ، للدكتور محمد الأمين الخضري ، ط(1) ، (القاهرة ، مكتبة وهبة ، 1409هـ-1989م) ص217.

وقد أرجع المرادي معانيها التي ذكرت لها للاختصاص فقال : « وإذا تؤملت سائر المعاني المذكورة ، وجدت راجعة إلى الاختصاص... » الجنى الداني 152.

وجعل الملك نوعاً من الاختصاص فقال : « والظاهر أن أصل معانيها الاختصاص ، وأما الملك فهو نوع من أنواع الاختصاص ، وهو أقوى أنواعه... » الجنى الداني في حروف المعاني، للمرادي(ت749هـ) ، تحقيق : طه محسن ، ط (بدون) ، (الموصل ، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر ، 1396هـ-1976م) ، 142.

(2) فتح القدير، الشوكاني،تحقيق: فريال علوان، ط(1)، (الرياض، مكتبة الرشد،1420هـ/ 1999م) ، 1/ 299.

وهذا في نظري أولى مما قاله أبو حيان رحمه الله بأن « (لك) اللام فيه لام السبب، وهو على حذف التقدير: لخدمة بيتك، أو للاحتباس على طاعتك»(١).

فهذا التقدير في ظني لا مسوغ له، إنه لله وكفى، إن المقصود أن الملكية المفهومة من اللام التي هي حقها في الولد، وخدمته تنتقل كلها لله سبحانه وتعالى، يستعمله سبحانه فيما يشاء، فهذا أكثر مدلولاً من التقدير الذي يخصص المعنى الواسع اللائق بهذا المقام.

﴿مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ لماذا (ما) دون (مَنْ) ؟ يجيب عن هذا أبو حيان بقوله: «وأتى بلفظ (ما) دون (مَنْ)؛ لأن الحمل إذ ذاك لم يتصف بالعقل، أو لأن (ما) مبهمة تقع على كل شيء، فيجوز أن تقع موقع مَنْ »(٢)، ويؤكد ذلك بقوله أيضاً: « والإبهام في قوله: ﴿مَا فِي بَطْنِي﴾ لـمَّا تعذر عليها الاطلاع على ما في بطنها أتت بلفظ (ما) الذي يصدق على الذكر والأنثى»(٣)، ويقول السمين: « إنه لما كان ما في البطن لا تمييز له ولا عقل عبَّر بـ (ما) التي لغير العقلاء »(٤).

وفي نظري أن تعليل الإبهام في (ما) بتعذر إطلاعها على ما في بطنها متوجه، لكن

(١) البحر المحيط، لأبي حيان،تحقيق الشيخ:عرفات العشا حسونة،ط(لا يوجد)،مكة،المكتبة التجارية،٣/ ١١٤

(٢) البحر المحيط ٣/ ١١٤، وانظر روح المعاني ٣/ ١٣٤.

(٣) البحر المحيط ٣/ ١٢٥.

(٤) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي ، تحقيق : أحمد الخراط، ط (١)، (دمشق ، دار القلم ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) ، ٣/ ١٣٢.

القول بأن (ما) تصدق على الذكر والأنثى ليس بدقيق، لأن (مَنْ) في هذا مثلها فلا ميزة.

والذي يظهر أنها أرادت الإفصاح عن صدق توجهها، وقوة يقينها، فهي لا تدري هذا الذي في بطنها ما شأنه وما مصيره، وما نفعه؟ فأرادت الخروج من ذلك كله لربها سبحانه، ولو قيل (مَنْ) لحد ذلك الاندفاع الإيماني المتدفق الذي نحسه من هذه الكلمات الإيمانية، لأن (مَنْ) أخص، و (ما) أعم، والعموم هنا مقصود؛ لأنه أكثر دلالة على إرادتها للتجرد عن كل علائق ذلك الحمل لربها سبحانه.

وهنا سؤال أيضاً لماذا التعريف بالموصول دون أن يقال: جنيني، أو حملي ؟ أما الموصول (ما) فقد سبق توجيه اختياره على (مَنْ) ، لكن بقي تعليل ذكره دون أدوات التعريف الأخرى.

ولعل سبب هذا ، أن الموصول يسمح بتوسع لا يوجد في غيره ، وهذا يتناسب مع الإبهام الذي لا تعرفه هذه الأم في جنس جنينها، كما أن ذكر الموصول دون (جنيني) مثلا يبين حرصها على التجرد عن مكنون بطنها الذي لا تعرف كنهه، فهي لا تذكر ما يصور تعلقها بها؛ لأنها حررته لله، ولو قالت جنيني فكأنما جعلت لنفسها بعض الملك والمشاركة، وهي تريده كله خالصا لله.

ومما جاء في صلة الموصول هنا الجار والمجرور، ﴿ فِي بَطْنِي ﴾ وفي التنصيص على (في) ترسيخ لمعنى الظرفية والوعاء، فكأنها تقول: كل ما في بطني محرر لله، وهذا متناسق تماماً مع ما ذكرناه من مدلول (ما) من قبل.

ثم إن (في) مع مدخولها تؤكد أن المراد هو الجنين الذي لم يخرج بعد، فهو ما زال في وعائه، ولو قيل: (نذرت لك الجنين الذي في بطني) لربما صدق عليه بعد خروجه سواء أكان سقطاً أم مولوداً.

أما ذكر (البطن) هنا – وقد يظن أنه مستهجن– فهو سائر على سنن القرآن في التعبير عن وعاء الجنين[(١)]، فليس فيها ما يستنكر أو يستهجن.

ثم إن (البطن) لفظ يشعر بالستر والخفاء، يقول الراغب:«ويقال لكل غامض بطن، ولكل ظاهر ظهر...ويقال لما تدركه الحاسة ظاهر، ولما يخفى عنها باطن»[(٢)].

وهذا يتناسب مع عدم علمها بماهية حملها، ويتماشى مع الدلالات السابقة في (ما) و (في) إذ هي تتحدث بالعموم عن أمر خاف غامض، علمه عند خالقه سبحانه، وهذا ما يتواءم مع الخطاب الإيماني المعترِف بقدرة الخالق وإحاطة علمه، والتجرد من الحول والقوة له سبحانه، إذ الكلمات تشعر بذلك، (ما في بطني) أيّاً كان؟ إذ لا علم لي به، والعلم فيه لك يا رب وحدك، وليس لي فيه شيء بل كله لك يا رب، كما أن (ما في بطني)، يشعر بأن ذلك من أعظم ما لديها، ومع هذا تجعله لله.

---

(١) مثل قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾ [النحل:٧٨]. وقوله تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ ﴾ [الزمر:٦] .

(٢) المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط (١) ، (بيروت ، الدار الشامية ، دمشق ، دار القلم ، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م).

وعلى هذا يمكننا القول إن دلالة العموم في (ما) لها وجهها من حيث الواقع وهو عدم علمها بمكنون بطنها، ولكن الوجه الأظهر والأنسب مع السياق هو أنها أرادت بهذا الإبهام البعد عن كل ما يناقض أو يناكد خلوص قصدها الذي بنت عليه كلامها، ولو قالت: (نذرت لك جنيني أو حملي) لأشارت إلى بعض حقها في التعلق بذلك المحرر، وهذا لا يتناسب مع قولها: (نذرت لك) إذ كيف تجعله لله ثم تنسبه لنفسها فتقول: (جنيني، حملي)، على حين أنها لم تتحرج من نسبة البطن إليها بل قالت : (بطني) لأن ذلك خارج عن سياق النذر ، فهي لم تنذر بطنها بل ما فيه، وهذا من تمام الأدب في الخطاب مع الله، ويؤيد كل ما سبق اختيارها اللفظة الخاصة ﴿مُحَرَّرًا﴾ ، التي جاءت حالاً من الاسم الموصول (ما)[1]، والحال قيد ، فهل له مدلول ؟ بمعنى أيمكن أن يتم المعنى دونه : بحيث يقال : إني نذرت لك ما في بطني فتقبل مني، ثم لماذا هذه الكلمة خصوصاً، وما سرُّ اختيارها ؟

مما لا شك فيه أن الكلام مع هذا القيد (محرراً) سيكون له من المعنى ما ليس كشأنه لو فقد القيد؛ ذلك أن هذا القيد اختصر كل المعاني السابقة التي توحي بعظم التجرد والإخلاص ؛ لأن معنى هذه الكلمة : « حبسته على خدمتك ، وخدمة قدسك في الكنيسة ، عتيقة من خدمة كل شيء سواك مفرغة لك خاصة... »[2]، ونص الطبري على مسألة الإخلاص بقوله عن المعنى: « خالصاً لا يخالطه شيء من

(١) انظر : جامع البيان ٥/ ٣٣١ ، والبحر المحيط ٣/ ١١٥ .

(٢) جامع البيان ٥/ ٣٣١.

أمر الدنيا »[١]. وبهذا ندرك تناسب هذا النظم من أول الخطاب للدلالة على عظم صدق هذه المؤمنة، وقوة تجردها من علائق الدنيا، وتنازلها عما يطلب الناس الولد من أجله، وهذا من علو قدرها.

وبهذا ندرك قيمة هذا القيد في فعلها الذي قامت به وهو (النذر)، فقد أوضح المراد وحدد وجهة النذر، يقول أبو السعود: « ولا يخفى أن المراد تقييد فعلها بالتحرير ، ليحصل بـه التقرب إليه تعالى ، لا تقييـد ما لا دخل لها فيه من الاستقرار في بطنها »[٢].

وللطاهر بن عاشور لفتة لطيفة لاختيار هذا اللفظ (محرراً) دون سواه، يقول فيها : « وإطلاق المحرر على هذا المعنى إطلاق تشريف؛ لأنه لما خلص لخدمة بيت المقدس، فكأنه حُرر من أسر الدنيا وقيودها إلى حرية عبادة الله تعالى »[٣].

وأما مدلول الصيغة (محرراً)، المأخوذ من التحرير، وهي صيغة تكثير، فذلك ما يفسره الحرالّي بقوله: « والتحرير طلب الحرية، والحرية رفع اليد عن الشيء من كل وجه، وفي الإتيان بصفة التكثير والتكرير إشعار بمضي العزيمة في قطع الولاية عنه بالكلية، لتسلم ولايته لله تعالى »[٤].

---

(١) جامع البيان ٥/ ٣٣٣.

(٢) تفسير أبي السعود ٢/ ٢٨.

(٣) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ط (بدون)، (تونس، دار سحنون للنشر والتوزيع)، ٣/ ٢٣٢.

(٤) نظم الدرر ، ٤/ ٣٥١.

ونخلص من كل هذا إلى أن المعنى والمقصد الذي أرادته بقولها: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ هو التجرد الصادق الكامل لله في نذرها، ويؤكد ذلك الدلالات الآتية:

١. مجيء (إن المؤكدة).

٢. التعبير بالجملة الاسمية في ﴿إِنِّي نَذَرْتُ﴾ الدالة على الثبات.

٣. ذكر مادة النذر ﴿نَذَرْتُ﴾ دون غيرها كـ(جعلت) مثلاً، لما في مادة النذر من الإلزام ، المناسب للعزم الأكيد.

٤. اختيار صيغة الماضي في ﴿نَذَرْتُ﴾ للإشارة أن الأمر قد بُتّ فيه، فكأنه تم وانقضى.

٥. مجيء اللام مع ضمير المخاطب في ﴿ لَكَ ﴾ لما فيها من دلالة الملك والاختصاص، وهذا يتناسب مع قصد الإخلاص في ذلك التجرد، فكأنه نقل كامل للملكية والانتساب عنها إلى ربها سبحانه.

٦. تقديم الجار والمجرور ﴿لَكَ﴾ لتكون عقب ﴿نَذَرْتُ﴾ ليكون النذر مرتبطاً بالله معنى ومبنى، وليكون إظهار التجرد والإخلاص منها لربها أسبق من الإفصاح عن ما أرادت نذره.

٧. اختيار ﴿مَا﴾ بما فيها من الإبهام للتخلص من كل صور التعلق المفهوم من ياء النسب لو قيل: (حملي، أو جنيني).

٨. ذكر مادة التحرير في ﴿مُحَرَّرًا﴾ الدالة على الخلوص من كل شائبة.

٩. مجيء المادة بصيغة التفعيل ﴿ مُحَرَّرًا ﴾ لتأكيد قوة العزم في إمضاء ما أرادت.

١٠. مجيء صيغة المفعول ﴿ مُحَرَّرًا ﴾ لبيان أنه ما كان كذلك إلا لنذرها إياه.

﴿ فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ ﴾ بعدما عرضت نذرها مشتملاً على التوكيدات المبينة لصدقها وقوة عزمها، توجهت لربها بطلب ما تأمل وهو قبول هذا النذر، فقالت: ﴿ فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ ﴾ ، والفاء تشعر ببنائها هذا الطلب على ما تقدم من كلامها.

والتقبل هو: « قبول الشيء على وجه يقتضي ثواباً كالهدية ونحوها » [(١)]، وقيل هو: « أخذ الشيء على وجه الرضا »[(٢)]، وأظن هذا الأخير إلى القبول أقرب منه إلى التقبل على ما سيأتي، وعلى هذا فقد تكلمت بهذا لتطلب الأجر والثواب من خالقها، ولتسأله سبحانه الرضا بنذرها هذا؛ لأنه طاعة، وهذا فيه حسن أدب مع ربها، فهي لا تضمن القبول، لكنها تطلبه من ربها وخالقها عله يجود به عليها، ولهذا جاء نظم خبر الجواب من الخالق سبحانه جامعاً بين التقبل والقبول: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ﴾، فالأول موافق لطلبها ﴿ فَتَقَبَّلَهَا ﴾ ، والثاني تأكيد للمعنى الثاني الذي هو الرضا (القبول)، يقول الراغب: « وإنما قال: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ ﴾ ولم يقل: بتقبُّل، للجمع بين الأمرين: التقبل الذي هو الترقي في القبول، والقبول: الذي يقتضي الرضا والإثابة »[(٣)].

---

(١) المفردات : ٦٥٣ .

(٢) محاسن التأويل، القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت، دار الفكر، ط (٢)، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م) ٤/ ٨٩.

(٣) المفردات ٦٥٣ ، وفسر السمين الحلبي كلام الراغب على مراده ، وجعل ذلك مرتبطاً بالتعبير بالماضي=

ولو نظرنا إلى لفظه (التقبُّل) من حيث حروفها، ومبناها، نجدها أكثر حروفاً وبالتالي فهي أكثر معنى ، لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى ، فكأنها أرادت بذلك الحصول على أقصى درجات القبول والثواب.

﴿مِنِّيٓ﴾ في دخول (من) على ياء المتكلم هنا تحديد لطالب التقبل، إذ لم تقل : فتقبل نذري، لأن (مِنْ) تأتي لابتداء الغاية، ففي ذكرها مع مدخولها إشعار بأن قبول طلبها على هذا الوجه تكريم لها ، كما أن ذلك يومئ بتواضعها لربها، وخضوعها له وانكسارها بين يديه ، وصدقها في طلبها ، لأنها تريد هذا الشرف لها، لأن فيه تقرباً لخالقها.

ويرى أبو السعود أن في خطابها هذا طلباً للولد، فيقول: « وهذا في الحقيقة استدعاء للولد؛ إذ لا يتصور القبول بدون تحقق المقبول، بل للولد الذكر، لعدم قبول الأنثى »[1]، وهي بهذا تكون قد زاوجت بين التعميم وعدم الجزم بقولها: ﴿مَا فِي بَطۡنِي﴾ لعدم ظهور ذكورية الجنين، وبين الجزم في دعائها بالقبول فقالت: ﴿فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓ﴾، وكأنها هنا تدعو ربها أن يكون ذكراً وإلا لن يكون مقبولاً، لأن خدمة الكنائس كانت عرفاً في الذكور خاصة.

=(فتقبلها) دون المضارع ، وهذا ما لم يذكره الراغب ، انظر : عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ، للسمين الحلبي ، تحقيق : عبد السلام الحلبي ، ط (١) ، (بنغازي، دار الكتب الوطنية ، ١٩٩٥م) ، ٣/ ٢٠٦١.

(١) تفسير أبي السعود ٢/ ٢٨، ويبدو أنه يقصد أن كلامها هذا استدعاء للولد الذكر لعدم قبول الأنثى، لأنه لا يتصور القبول بدون تحقق المقبول .

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ ذيلت طلبها وعرضها بالثناء على الله سبحانه بصفتي السمع والعلم، فقالت: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾، وفي بدء هذا التذييل بـ(إن) ما يشعر بالتعليل والتوكيد ، وأما عن سر ذلك فيمكننا القول إن تأكيد الجملة كان «لعرض قوة يقينها بمضمونها»(١) ، وأما التعليل فكأنها قالت: تقبل مني لأنك تسمع مناجاتي وطلبي، وتعلم صدق مقصدي، وذلك لأن إجابة الملتجأ إليه على حسب إحاطة سمعه وعلمه(٢) ، «فالسميع إشارة دعائها، والعليم إشارة إلى نيتها»(٣).

وجاءت بالخطاب في ﴿إِنَّكَ﴾ ، دون (إن الله)، للإشعار بقرب المخاطب؛ وذلك أرجى في قبول المطلوب، ولمناسبة ذلك للخطاب في أول كلامها ﴿لَكَ﴾.

﴿أَنتَ﴾ : ضمير فصل، أفاد حصر صفتي السمع والعلم عليه سبحانه، وهذا يدعم دلالة التعليل والتأكيد السابقتين، كما أنه يؤكد معنى التجرد والإخلاص الذي بنت عليه خطابها كله، يقول أبو السعود: «وقصر صفتي السمع والعلم على الله تعالى، لغرض اختصاص دعائها به تعالى، وانقطاع حبل رجائها عما عداه بالكلية، مبالغة في الضراعة والابتهال» (٤).

---

(١) تفسير أبي السعود ٢/ ٢٨.

(٢) انظر نظم الدرر ٤/ ٣٥١.

(٣) جواهر الحسان في تفسير القرآن ، للثعالبي ، ط (بدون) ، (بيروت ، مؤسسة الأعلمي) ، ١/ ٢٥٩.

(٤) تفسير أبي السعود ٢/ ٢٨.

وتقديم اسم ﴿ٱلسَّمِيعُ﴾ على ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ لأن هذا يتناسب مع حالها، فقد نذرت لربها بلسانها، وهذا مما سبيل إدراكه السمع، وأشارت بكلماتها إلى إخلاصها، وهذا سبيل إدراكه العلم.

وبهذا انتهى هذا المقطع من خطابها، وهو الجزء المتعلق بما دار في نفسها وما تلفظ به لسانها، وهو القسم الغيبي قبل ظهور ما في البطن، وهو خطاب -كما رأينا- يتسم بالتجرد والصدق والوضوح والإخلاص، والاعتراف الكامل لله بالفضل.

المقطع الثاني

خطابــها بعد الوضع

يأتي المقطع الثاني، وهو الشهادة، بعد ما تبين ما في بطنها، أي بعدما وضعت، قال تعالى على لسانها : ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾.

وفَصَل بين الخطابين بقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا ﴾، لِيُعلم أن الخطاب الثاني كان له موضع غير الموضع الأول، وحتى ندرك أن النفسية التي تحدثت بها أم مريم في الحالة الأولى غيرها في الحالة الثانية.

﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ ﴾ هذا المقطع كما قلنا يصور أم مريم في نفسية أخرى، ففي المقطع الأول لا نجد إشارة إلى الأنثى مع أنها لا تضمن الذكر، وإن كانت تطلبه، أما في هذا المقطع فجاءت الضمائر بالإشارة إلى الأنثى بلغة فيها بعض التحسر، لا على قضاء الله، ولكن على ما كانت تَأْمَل وتريد.

﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ ...﴾ سبق الحديث عن ﴿رَبِّ﴾ ، لكن هنا، لا بد من بيان سر التكرار لهذه الكلمة، دون أن يقال: (قالت إني وضعتها).

إن الموضع هنا كما قلنا فيه من الحاجة إلى رحمة الله ما فيه، وهو من الناحية النفسية مغاير لسابقه؛ لذا كرر لفظ (الرب)، لما فيه من الإشعار بالعطاء والقرب والرحمة، وكل ذلك لطلب العون من الله والقوة، يقول البقاعي مشيراً إلى هذه

المعاني : « ﴿ قَالَتْ ﴾ أي : تـحسراً ، ذاكرة وصف الإحسـان استـمطاراً للامتنان : ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ ...﴾» [1].

ويظهر لنا من هذا أن مناداة الخالق سبحانه ودعاءه بلفظ (الرب) يأتي في مواضع الشفقة، والضعف، والحاجة، وبلفظ (اللهم)[2] في مواضع القوة والقدرة والتغيير، يقول الدكتور: أحمد أحمد بدوي: «وأحس من كلمة (اللهم) مخافة وروعة، لا أحس بهما في لفظ (يا الله) »[3]، «يقول: النضر بن شميل: من قال: (اللهم) فقد دعا بجميع أسمائه كلِّها...، ويقول الحسن:(اللهم) مجمع الدعاء» [4].

ومع هذا الذي قيل، إلا أن (اللهم) لم تتكرر في القرآن إلا في خمسة مواضع[5] بينما تكرر النداء بـ(رب) و (ربنا) فيما يقارب مائة وخمسين موضعاً، وجل ذلك من المؤمنين، بل لا يخرج عن ذلك إلا نوادر قليلة جداً، ويبرز هذا النداء كما ذكرنا في مواطن الحاجة الفردية في (رب) والجماعية في (ربنا)، لذا جاء هذا النمط من الخطاب هنا سائراً على سنن القرآن في هذا الشأن.

﴿إِنِّي وَضَعْتُهَآ ﴾ تكرر التوكيد هنا بـ(إنّ) ، لأن الأمر على خلاف المتوقع فحقه

---

(١) نظم الدرر ٤/ ٣٥١.

(٢) لم يرد نداء (الله) إلا على هذه الصورة (اللهم)، انظر من أسرار التعبير القرآني (حروف القرآن)١٧٨.

(٣) من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي ١٦٨.

(٤) من أسرار التعبير القرآني (حروف القرآن) ١٧٨ .

(٥) هي : ٢٦ آل عمران ، ١١٤ المائدة ، ٣٢ الأنفال ، ١٠ يونس ، ٤٦ الزمر .

التوكيد ، «والتأكيد للرد على اعتقادها الباطل» [١] ، «وربما أنه يعود إلى الاعتناء والمبالغة في القسم الذي قصدته والرمز إلى أنه صادر من قلب كسير وفؤاد بقيود الحرمان أسير» [٢]، وهذا ما قرره الطاهر بن عاشور بقوله: « وتأكيد الخبر بـ(إنّ) مراعاة لأصل الخبرية، تحقيقاً لكون المولود أنثى؛ إذ هو بوقوعه على خلاف المترقَّب لها، كان بحيث تشك في كونه أنثى، وتخاطب نفسها بنفسها بطريق التأكيد فلذا أكدته »[٣].

وهذا الذي ذكره الألوسي وابن عاشور ألطف مما ذكره أبو السعود من وصفه اعتقادها بالباطل، فإن تلك اللفظة لا تتواءم مع صفاء ونقاء قلب تلك المؤمنة المخلصة.

﴿وَضَعْتُهَآ﴾ قد يرد في الذهن أن الأخصر من ذلك أن يكون خطابها: (رب إنها أنثى)، لكن هذا الخطاب لن يتعرض للحظة الوضع الحاسمة، فكان لابد من ذكر هذه الكلمة تصويراً لحالة المباغتة التي حصلت لها بمجرد الوضع، لأنها كشفت عما لم تكن تأمل، إنها أرادت ما في بطنها ذكراً، فجاء أنثى، ولم يكن ليظهر تحسرها، ولا لتتلاشى آمالها في الذَّكَر، إلا في تلك اللحظة؛ لذا كان ذكر هذه الكلمة مؤثراً

(١) تفسير أبي السعود ٢/ ٢٨ .

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، (دار الفكر للطباعة والنشر، ط (بدون)) ٣/ ١٣٤. .

(٣) التحرير والتنوير ٣/ ٢٣٢ .

مصوراً. وإنما أُنث الضمير في (وضعتها)، والمتبادر إلى الذهن تذكيره بأن يقال: رب إني وضعته أي الحمل، لأن ذلك جاء حملاً على ما في (ما) من السعة، أو على مراعاة أن المقصود النسمة، أو النفس[1]، أو أنها أرادت تصوير شدة صدمتها بحصول ما لم تأمل بالإعراض عن كل ماله علاقة بالذكر الذي كانت تريده، رضاً بالأمر ورضوخاً للقضاء، حتى لا تتعلق نفسها بأمر قُدّر وانقضى.

وعلى هذا تكون الحال (أنثى) «مبيّنة، إذ النسمة والنفس تطلق على المذكر والمؤنث »[2]، ولو تساءلنا عن فائدة البيان بهذه الحال ؟ لوجدنا أن الأمر دائر بين الأنثى والذكر، والذي حصل خلاف المتوقع في نفسها، فكان بيانه مهماً، وجاء هذا البيان في صورة (حال) للإشعار بأنه وقتي حادث؛ إذ هي لم تتبين ذلك إلا لحظة الوضع.

وبتأمل هذا الخطاب ﴿إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾ نجد أن امرأة عمران لم ترد الإخبار بالمدلول المباشر له، لأن المخاطب به هو الله العليم بحالها تلك، فهي لا تخبر ربها بمضمون الخطاب وإنما كان لها قصد آخر، هو « إظهار الحسرة لما فاتها من تحقيق

(١) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنْزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: مصطفى حسين أحمد، (بيروت، دار الكتاب العربي، القاهرة ، دار الريان للتراث، ط (٣)، ١٤٠٧هـ - ١٩٧٨م) ١/ ٣٥٥. والبحر المحيط ٣/ ١١٦ .

(٢) البحر المحيط ٢/ ٤٥٦.

وعدها، والوفاء بها التزمت به، والاعتذار، حيث أتت بمولود لا يصلح للقيام بما نذرته» [(١)].

إنه تأسف على فوات الخير، واعتذار لطيف لخالقها بالإشعار بمسكنتها وضعفها، حيث أظهرت خروج ذلك عن قدرتها واختيارها، لقد أخبرت بما حصل، وحكت ما جرى، ولم تُخرج خطابها بناءً على ما حصل في نفسها ساعة الوضع وإلا لقالت: رب لقد حصل ما لا أريد، أو: لقد جاء خلاف ما أبغي، أو ما شابه ذلك، لكن خطابها كان أكثر إعذاراً، وألطف بياناً، لأنها ذكرت ما به يحصل عذرها من واقع لا يمكن دفعه، ولا لوم لها عليه، لأنه لا يد لها في ذلك، ولا يتحقق هذا في الخطابات الأخرى المقدرة.

﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ﴾ اختُلف في هذا الخطاب، أهو من كلام أم مريم أم من كلام الله ؟

ولوجود الاحتمال بكونه من كلامها فلامناص من تحليله وبيان دلالته.

هنا قراءتان سبعيتان بسكون التاء وضمها، وضَعَتْ، ووضَعْتُ[(٢)]، وعلى قراءة الضم (وضعتُ) يكون الخطاب لها، أي والله أعلم بما ولدتُ مني[(٣)].

---

(١) إعراب القرآن وبيانه محيي الدين درويش، (حمص، دار الإرشاد ، دمشق، دار ابن كثير، اليمامة، ط (٣) ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م). ١/ ٤٩٨ .

(٢) انظر البحر المحيط ٣/ ١١٧ ، ومحاسن التأويل ٤/ ٨٩.

(٣) انظر جامع البيان ٥/ ٣٣٦.

وعند تحليل الخطاب على هذه القراءة يتضح أنها خالفت الظاهر، فوضعت اسم الجلالة (الله) موضع الضمير، وقد فسر أبو حيان هذا الخروج عن المقتضى بقوله: «ولم تأت على لفظ (رب)؛ إذ لو أتت على لفظه لقالت: وأنت أعلم بما وضعتُ، ولكن خاطبت نفسها على سبيل التسلية عن الذَّكَر، وأن عِلْمَ الله وسابقَ قدرته وحكمته يحمل ذلك على عدم التحسر والتحذر على ما فاتني من المقصد؛ إذ مراده ينبغي أن يكون المراد، وليس الذكر الذي طلبتُه ورجوتُه مثل الأنثى التي عَلِمَها وأرادها وقضى بها، ولعل هذه الأنثى تكون خيراً من الذَّكَر؛ إذْ أرادها الله، سلت بذلك نفسها...»[1].

وظاهر من كلام أبي حيان أنه جعل علامة التسلية في خطابها أنْ تحولت من الخطاب إلى الغيبة، فكأنها تحدث نفسها، وهذا يحدث مع المهموم المحزون، وهذا الالتفات يكون « قرينة لفظية على أن الخبر مستعمل في التحسر»[2]، ولكن لماذا لفظ الجلالة (الله) دون غيره ؟

لعل سر ذلك يرجع إلى أن الموقف يستدعي القدرة والعظمة، وذلك أنه خلْق وتدبير، وهذا من مواطن هذا الاسم العظيم، يقول البقاعي: «وعبرت بالاسم الأعظم موضع ضمير الخطاب، إشارة إلى السؤال في أن يهبها من كماله ويرزقها من

---

(١) البحر المحيط ٣/ ١١٧ .

(٢) التحرير والتنوير ٣/ ٢٣٣ .

هيبته وجلاله...»[١] ويقول الألوسي: « ووضع الظاهر موضع ضمير المخاطب إظهاراً لغاية الإجلال »[٢].

وهذا نموذج من خطابات المؤمنين في التسلية عند المصاب، والاعتذار لربهم، وفيه كمال الأدب معه سبحانه، وتعظيمه جلت عظمته، والاعتراف للعظيم سبحانه بالقدرة والقوة، وفيه تنصل من الحول والقوة البشريتين.

وأما على قراءة باقي السبعة: بما وضعت، بتاء التأنيث الساكنة على أنه من كلام الله، فهو إخبار منه سبحانه بأنه أعلم بالذي وضعته، ويكون هذا على سبيل التعظيم لهذه الموضوعة، والإعلام بما علق بها وبابنها من عظيم الأمور، إذ جعلها وابنها آية للعالمين[٣].

﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ قد يكون من كلام الله عطفاً على قراءة تسكين التاء، وقد يكون من كلامها عطفاً على قراءة ضم التاء، وهو ما يهمنا هنا، ولعل مما يؤيد كونه من كلامها عطف كلامها عليه في قوله تعالى:﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ ولكن المتبادر إلى الذهن أن يقال: (وليست الأنثى كالذكر) لا ما عليه النظم الكريم، لأن المقصود تنقيص الأنثى بالنسبة للذكر، وفي مثل هذا ينفى عن الناقص شبهه بالكامل[٤].

(١) نظم الدر ٤/ ٣٥٢.

(٢) روح المعاني ٣/ ١.

(٣) انظر: البحر المحيط ٣/ ١١٧.

(٤) انظر: الانتصاف، لابن المنير بحاشية الكشاف ١/ ٣٥٦.

هذا ما قيل، وابن المنير يرى أن ما تم تقريره من أنه ينفى عن الناقص شبهه بالكامل غير مسلم من أصله، يقول في ذلك: « قد وُجد الأمر في ذلك مختلفاً فلم يثبت لي عين ما قالوه ، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الأحزاب:٣٢]. فنفى عن الكامل شبه الناقص، مع أن الكمال لأزواج النبي عليه الصلاة والسلام ثابت بالنسبة لعموم النساء، وعلى ذلك جاءت عبارة امرأة عمران والله أعلم»(١)، وإذا كان توجيه ابن المنير مقبولاً في رد ما تم تقريره من الشبه، فإنه لا يفسر التقديم للذكر على الأنثى؛ إذ يمكن أن ينظر له من زاوية أخرى غير الناقص والكامل.

والذي يظهر أن الحالة النفسية هنا لها أثرها، فمما لا شك فيه أن امرأة عمران كان لها اهتمام خاص دار عليه كلامها، لذا فقد يكون سر هذا التقديم هو أنها «بدأت بذكر الأهم في نفسها » (٢)، وقد يكون السبب أنها أرادت أن تسلي نفسها رضا بقدر الله، فكأنها قالت: «وليس الذكر الذي طلبته ورجوته مثل الأنثى التي عَلِمَها وأرادها وقضى بها [سبحانه]، ولعل هذه الأنثى تكون خيراً من الذكر؛ إذ أراداها الله، سلت بذلك نفسها » (٣).

---

(١) الانتصاف بحاشية الكشاف ١/ ٣٥٦ .

(٢) جواهر الحسان في تفسير القرآن (الثعالبي ، ط(بدون) ، بيروت مؤسسة الأعلمي) ١/ ٢٦٠ . وانظره في المحرر الوجيز ٣/ ٦٤ ، والبحر المحيط ٣/ ١١٧ .

(٣) البحر المحيط ٣/ ١١٧ .

فهي بهذا تظهر رضاً عظيماً بما قسم الله لها لدرجة أنها تفضل الأنثى على الذكر تعظيماً لعطية الله لها على مطلوبه .[١]

﴿ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾ الواو هنا عاطفة لهذه الجملة على ما قبلها من كلامها، وأظهر ذلك أنها معطوفة على جملة ﴿إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ ﴾[٢]، وما بينهما اعتراض.

وبدأت الجملة بالتوكيد ﴿ إِنِّي ﴾ مع أنه لا إنكار ولا شك يستوجب ذلك ظاهراً، لأنها هي التي تولت التسمية[٣] بسبب موت زوجها وهي حامل بها، ومما يؤيد ذلك تقديم المسند إليه (ياء المتكلم) على خبره الفعلي، يقول الألوسي: «فتقديم المسند إليه للتخصيص، يعني التسمية مني لا يشاركني فيها أبوها، وفي ذلك تعريض بِيُتْمها استعطافاً له تعالى، وجعلاً لِيُتْمها شفيعاً لها»[٤].

ولا شك أن مقامات التخصيص هي من مقامات التوكيد، ومثل هذا التركيب دال على التوكيد بتكرار الإسناد كما هو معلوم[٥].

ويمكن أن يقال إن من مسوغات هذا التأكيد أن التسمية أسندت إلى غير الرجل الذي عادة ما يقوم بها، وأقوى من هذا القول إن السبب هو أنها أرادت

---

(١) انظر روح المعاني ٣/ ١٣٥ .

(٢) انظر البحر المحيط ٣/ ١١٨ .

(٣) انظر روح المعاني ٣/ ١٣٦ .

(٤) روح المعاني ٣/ ١٣٦ .

(٥) انظر دلائل الإعجاز ، بعد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود شاكر، ط (بدون) القاهرة ، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني) ١٣٢، والإيضاح للقزويني، تحقيق: د . محمد عبد المنعم خفاجي، ط(٦) ، (بيروت-دار الكتاب اللبناني، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م) ص١٣٨، ١٣٩.

التدليل على عزمها في إمضاء ما أرادت ولو جاء على غير ما أمّلت ، المهم أن يكون في ذات الله ، ويؤيد هذا تسميتها لها بـ(مريم) أي العابدة، فكأنها قالت: وإن كان ما وضعته أنثى وهي غير خليقة بسدانة بيت المقدس؛ فلتكن من العابدات فيه(١).

والغرض من عرض هذه التسمية على رب العالمين يجيب عنه الزمخشري بقوله: «فإن قلت: فلم ذكرت تسميتها لربها ؟ قلت: لأن مريم في لغتهم بمعنى العابدة، فأرادت بذلك التقرب والطلب إليه أن يعصمها، حتى يكون فعلها مطابقاً لاسمها، وأن يصدق فيها ظنها بها»(٢).

وقيل ليكون ذلك أحرى في جعلها محررة لله سبحانه، يقول البقاعي: «فكان من تمام أن وضعتها أن تسمّيها، فيكون إبداؤها حالها وضع عينٍ وإظهار اسم، لما في وجود الاسم من كمال الوجود في السمع كما هو في العين، ليقع القرب والنذر بما هو من الوجود عيناً واسماً»(٣)،فيتطابق فيها الاسم الدال على العبادة، والمسمى القائم بالعبادة.

﴿ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ يبدو أن التوكيد وتقديم المسند إليه هنا جار على ما يتطلبه السياق في كلامها كله: إني نذرت، إني وضعتها أنثى، إني

---

(١) انظر: روح المعاني ٣/ ١٣٦ .

(٢) الكشاف ١/ ٣٥٦ ، وانظر البحر المحيط ٣/ ١١٨ ، وانظر بسطاً أكثر في إعراب القرآن الكريم وبيانه ١/ ٤٩٨ .

(٣) نظم الدرر ٤/ ٣٥٤ .

سميتها مريم، إني أعيذها، وذلك «لأن حال كراهيتها، يؤذن بأنها ستعرض عنها فلا تشتغل بها، وكأنها أكدت هذا الخبر إظهاراً للرضا بما قدر الله تعالى، ولذلك انتقلت إلى الدعاء لها الدال على الرضا والمحبة »[١].

إلا أن الملحوظ هو التغاير في الخبر الفعلي بين هذه الجمل التي احتواها خطابها، ففي الجمل الثلاث الأولى كان ماضياً (نذرتُ، وضعتُ، سميتُ)، وفي الإعاذة جاء مضارعاً (أعيذها)، «لأن مقصودها ديمومة الاستعاذة، والتكرار، بخلاف: وضعتها، وسميتها، فإنهما ماضيان قد انقطعا »[٢].

﴿أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا﴾ وهنا تقدم المستعاذ به ﴿بِكَ﴾ قبل اكتمال المستعاذ له ﴿وَذُرِّيَّتَهَا﴾ ، إذ مقتضى الحال أن يقال: أعيذها وذريتها بك من الشيطان الرجيم «للاهتمام به، ثم استدركت بعد ذلك الذِّكر (ذريتَها) »[٣].

وقد يكون سر هذا الاهتمام الموجب لهذا التقديم أنها هي الموجودة وقت الدعاء، فهي محط العناية حينئذ، وخصوصاً أنها مولودة للتو، ثم ذكرت بعد ذلك ذريتها إما لأنه سبحانه أعلمها بذلك، فيكون «في قوله: (ذريتها) إشعار بما أوتيته من علم بأنها ذات ذرية، فكأنها نطقت عن غيب من أمر الله سبحانه وتعالى، مما لا يعلمه إلا الله، فهو مُعَلِّمه لمن شاء »[٤].

---

(١) التحرير والتنوير ٣/ ٢٣٤ .

(٢) البحر المحيط ٣/ ١١٩ ، وانظر روح المعاني ٣/ ١٣٧ .

(٣) البحر المحيط ٣/ ١١٩ ، وفي بعض النسخ ، (ثم استدركت بعد ذلك ذكر ذريتها) وهو أوضح .

(٤) نظم الدرر ٤/ ٣٥٥ .

ويبدو أن هذا لو كان هو المراد لكان تقديم الذرية قبل المستعاذ به أليق، ولعل سر ذكر (الذرية) هو ثقتها بربها، وإدماجا للدعاء لها بطول العمر والخَلَف، يقول الألوسي: « وفي التنصيص على إعاذتها ذريتها ، رمز إلى طلب بقائها حية حتى تكبر ، وطلب للتناسل منها»[1].

﴿ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ عُين المستعاذ منه وهو الشيطان؛ لأنه أول الشرور وأخطرها التي تقابل المولود من أول لحظة، قال ﷺ: ((**مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلاَّ وَالشَّيْطَانُ يَمَسُّهُ حِينَ يُولَدُ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ إِيَّاهُ، إِلاَّ مَرْيَمَ وَابْنَهَا**))، **ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ** ﴿ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾. رواه البخاري[2].

فيظهر من هذا الحديث الضرر الجسدي والألم الحسي الذي خشيته أم مريم على ابنـتها، وكذلك ضرر الإغــواء عن الحق عليها وعلى ذريـتها من بـعدها، فاستجاب الله دعاءها كما في الحديث المتقدم.

ولعل ضرر الإغواء هو ما خشيته، لأن المذكور في الحديث هو الأذى الجسدي عند الولادة، وما تخشاه هو ما بعد ذلك بدليل ذكر الذرية، وأنها أرادت مولودها للعبادة، وأعظم صارف عنها هو الشيطان.

---

(١) روح المعاني ٣/ ١٣٧ .

(٢) صحيح البخاري ١٥ / ٦٠.

وأما الوصف بـ﴿ٱلرَّجِيمِ ﴾ فيظهر أنه من باب التقبيح له، وإظهار شناعة أمره، لأن الرجيم يعني «المطرود، وأصل الرجم الرمي بالحجارة »(١).

وبهذا نجد أن هذا الخطاب الصادر من أم مؤمنة قد صور حالة الصدق والإخلاص والتجرد من أشد العلائق التي تربط الأم، ألا وهو مولودها، وهذا يدل على أن المرأة بإيمانها تسمو فوق عواطفها المتأصلة لترتفع إلى قمم الطاعة والتقرب من الخالق سبحانه.

كما أن هذا الخطاب صور لنا أدباً جماً مع الخالق سبحانه، فهي لم تعترض على مولاها سبحانه، بل اكتفت بإخبار خالقها العظيم بخبر لا يخفى على علمه سبحانه.

كما تضمن هذا الخطاب عناية واضحة بمولودها، ويظهر ذلك في دعائها لربها بأن يحفظها من إيذاء الشيطان وإغوائه.

وكأننا مع هذا الخطاب الإيماني الرائع أمام نموذج للأم المؤمنة، وما ينبغي أن تكون عليه، في رعاية جنينها وهو في بطنها ليكون نافعاً للأمة، مسخراً في طاعة ربه، وعلى هذا الأساس تكون تربيته، كما أنها لا تنسى مع كل قدراتها وإمكاناتها الالتجاء إلى الله لحفظه ورعايته.

---

(١) روح المعاني ٣/ ١٣٧ .

الخاتـــمة

توجه هذا البحث إلى دراسة نص محدد هو خطاب امرأة عمران في القرآن، من الناحية البلاغية، وذلك لإبراز السمات الدلالية في النص، وربط ذلك بموضوع الخطاب الذي لم يذكر في القرآن إلا مرة واحدة.

وقد خرج البحث بالنتائج الآتية:

١. أن النص المدروس -على قصره- قد صوّر الظرف الذي صاحب ولادة مريم عليها السلام، التي ارتبطت حياتها بالخوارق.

٢. توجهت الكلمات والتراكيب لإبراز معنى عظيم وهو التجرد والإخلاص لله ، وذلك عند أمٍ في علاقتها بجنينها.

٣. لم تظهر مفردات تخص الأم أو المرأة إلا لفظة (بطني) في سياقها ، وهذا يشير إلى عدم اختصاص خطاب هذه المرأة بألفاظ أو سمات معينة تميزه عن خطاب الرجل في القرآن.

٤. ظهرت على المقطع الأول من الخطاب سمات السكون والهدوء والخضوع لأنه نذر وتضرع، وظهر على الثاني مد الصوت وإطالته، مع ما يشعر بالتحسر، وهو الهاء الممتدة بالألف في الكلمات: (وضعتها، سميتها، أعيذها، وذريتها) لأنه يصور حصول خلاف المؤمل.

٥. صوّر الخطاب قوة تحمل المرأة ، وشدة عزيمتها إذا تلبست بالإيمان، واعتمدت على الجبار، وخصوصاً إذا تعلق الأمر بأمومتها ، وفراقها لولدها.

مسرد المراجع

١. **إعراب القرآن وبيانه** محيي الدين درويش، (حمص، دار الإرشاد، دمشق، دار ابن كثير، اليمامة، ط (٣) ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).

٢. **الانتصاف،** لابن المنير بحاشية الكشاف، تحقيق: مصطفى حسين أحمد، (بيروت، دار الكتاب العربي، القاهرة، دار الريان للتراث، ط (٣)، ١٤٠٧هـ - ١٩٧٨م).

٣. **الإيضاح** للقزويني، تحقيق: د. محمد عبد المنعم خفاجي، ط(٦)، (بيروت - دار الكتاب اللبناني، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).

٤. **البحر المحيط،** لأبي حيان، تحقيق الشيخ: عرفات العشا حسونة، ط(لا يوجد)، مكة، المكتبة التجارية، ٣/ ١١٤.

٥. **البلاغة العربية،** عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ط(١)، (دمشق، دار القلم، بيروت، الدار الشامية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م).

٦. **التحرير والتنوير،** محمد الطاهر بن عاشور، ط(بدون)، (تونس، دار سحنون للنشر والتوزيع).

٧. **التعريف والإعلام فيما أبهم من الأسماء والأعلام في القرآن الكريم،** للسهيلي، تحقيق أ. مهنا، ط(١)، (لبنان بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م).

٨. **تفسير أبي السعود، (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)،** لأبي السعود العمادي، ط(بدون)، (بيروت، دار إحياء التراث العربي).

٩. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن،** للطبري، تحقيق الدكتور: عبد الله التركي، ط(١) (مصر - الجيزة: دار هجر، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م).

١٠. **الجنى الداني في حروف المعاني،** للمرادي [ت٧٤٩هـ]، تحقيق: طه محسن، ط(بدون)، (الموصل، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م).

١١. **جواهر الحسان في تفسير القرآن،** للثعالبي، ط(بدون)، (بيروت، مؤسسة الأعلمي).

١٢. **خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية**، للدكتور: عبد العظيم المطعني، ط(١)، (القاهرة، مكتبة وهبة، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م).

١٣. **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، السمين الحلبي، تحقيق: أحمد الخراط، ط(١)، (دمشق، دار القلم، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م).

١٤. **دلائل الإعجاز**، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود شاكر، ط(بدون) القاهرة، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني).

١٥. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، الألوسي، (دار الفكر للطباعة والنشر، ط(بدون)).

١٦. **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، للسمين الحلبي، تحقيق: عبد السلام الحلبي، ط(١)، (بنغازي، دار الكتب الوطنية، ١٩٩٥م).

١٧. **فتح القدير**، الشوكاني، تحقيق: فريال علوان، ط(١)، (الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م).

١٨. **قصص القرآن في مواجهة الرواية والمسرح**، أحمد موسى سالم، ط(١)، دار بيروت، دار الجيل.

١٩. **الكتاب**، سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط(٣)، (بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).

٢٠. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق: مصطفى حسين أحمد، (بيروت، دار الكتاب العربي، القاهرة، دار الريان للتراث، ط (٣)، ١٤٠٧هـ - ١٩٧٨م).

٢١. **محاسن التأويل**، القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت، دار الفكر، ط(٢) ، ١٣٩٨هـ - ١٩٨٧م).

٢٢. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ابن عطية، تحقيق: المجلس العلمي (القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م).

٢٣. **المرأة في القرآن الكريم**، الفريق يحيى المعلمي، ط (بدون)، (الرياض، دار المعلمي للنشر، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م).

٢٤. **المعاني في ضوء أساليب القرآن**، الدكتور: عبد الفتاح لاشين، ط(١)، (مصر، دار المعارف، ١٩٧٦م).

٢٥. **مغني اللبيب**، ابن هشام، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط (بدون)، (بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٠٧هـ) ١٩٨٧م).

٢٦. **المفردات في غريب القرآن**، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي ، ط (١)، (بيروت، الدار الشامية، دمشق، دار القلم، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).

٢٧. **من أسرار التعبير في القرآن (حروف القرآن)**، للدكتور: عبد الفتاح لاشين، ط(١)، (جدة، شركة مكتبات عكاظ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م).

٢٨. **من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم**، للدكتور محمد الأمين الخضري، ط(١)، (القاهرة، مكتبة وهبة، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م).

٢٩. **من بلاغة القرآن**، الدكتور: أحمد أحمد بدوي، ط(٢) (الفجالة، مكتبة نهضة مصر، ١٣٧٠هـ).

٣٠. **النداء في اللغة والقرآن**، الدكتور: أحمد محمد فارس، ط(١)، (بيروت، دار الفكر اللبناني، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م).

٣١. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، للبقاعي، ط٣، (القاهرة، دار الكتاب، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م).

فهرس الموضوعات

الملخص ٢٩١

مدخل ٢٩٢

حدود البحث ٢٩٣

منهج البحث ٢٩٣

المقطع الأول: خطابها قبل الوضع ٢٩٤-٣١٠

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ ﴾ ٢٩٤

﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ ﴾ ٢٩٦

﴿مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ ٣٠١

﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ ﴾ ٣٠٧

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ ٣٠٩

المقطع الثاني: خطابها بعد الوضع ٣١١-٣٢٣

﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ ﴾ ٣١١

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾ ٣١٥

﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ﴾ ٣١٧

﴿ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾ ٣١٩

﴿ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ ٣٢٠

خاتمة البحث ٣٢٤

مسرد المراجع ٣٢٥